مقياس: النقد الأدبي العربي الحديث

السنة الثانية ليسانس (دراسات أدبية/ دراسات نقدية)

المحاضرة السابعة: جماعة أبولو

1- التعريف بجماعة أبولو وظروف تأسيسها:

في سبتمبر 1932م أعلن الشاعر 'أحمد زكي أبو شادي' عن ميلاد مدرسة أدبية جديدة سماها (جماعة أبولو)، وقد ضمت هذه الجماعة شعراء الوجدان في مصر والوطن العربي، ومن روادها: إبراهيم ناجي، علي محمود طه، أبو القاسم الشابي، صالح جودت، أحمد محرم، محمد عبد المعطي الهمشري، حسن الصيرفي، كامل الكيلاني، وغيرهم.

وقد ترأس الجماعة 'أحمد شوقي' الذي عُقد اجتماع الجماعة الأول في منزله قبل وفاته بأيام، ثم تولى الرئاسة 'خليل مطران'؛ الذي يعد أحد المؤثرين في تأسيس الجماعة، يظهر ذلك في قول إبراهيم ناجي عنه: "إننا مدينون لخليل مطران بكثير من التوجيهات في شعرنا العصري، وهو فتح أعيننا للنور (...) والمدرسة الحديثة التي يتكلم بلسانها أبو شادي وحسن الصيرفي وصالح جودت وأبو القاسم الشابي وغيرهم، هي رجع الصدى لذلك الصوت البعيد الذي ردده خليل مطران في غير ضجة ولا ادعاء (...) ونحن إنما زدنا على ذلك بما عرفنا من مطالعتنا المتعددة".

وقد التف هؤلاء الشعراء حول أحمد زكي أبو شادي بعد عودته من إنجلترا متأثرا بالمذهب الرومانسي ونزعاته العاطفية والذاتية والإنسانية.

كما أسهمت أسباب أخرى في تأسيس هذه الجماعة أبرزها:

– الصراع بين المحافظين والمجددين، ولذلك التقى هؤلاء الشعراء على اختلاف توجهاتهم، محاولين الجمع بين تجاربهم؛ فقد نشأت هذه الجماعة في ظروف تكاد تكون واحدة من النواحي السياسية والاجتماعية والفكرية، وكان في نفوس مبدعيها رغبة للتحرر من قيود القديم، ومواكبة الحديث، وعبر رائدها 'أحمد زكي أبو شادي' عن ذلك التحرر بقوله: "إني أوقن أن الكون في تحول مستمر، وأن الفكر الإنساني في تبدل وتطور، وأن ما نراه حسنا الآن قد لا يرضى عنه جيل مقبل، كما أننا لم نرض عن كثير مما استحسنه أسلافنا، ولكن كل هذا لا يعني أن جهدنا عديم الجدوى، ولن يطالبنا العقل أكثر من الوفاء لعصرنا، الحاضر خاصةً، ولجوهر الفكر الإنساني عامة".

– التأثر بالشعر الرومانسي الغربي، والحقيقة أنهم أسسوا الرومانسية في البلاد العربية، فأفكارهم تلاقت بفلسفة الرومانسيين الغربيين مع اختلاف بين بينهم وبين الشعر الوجداني العربي فالشعر العربي تأثر بالطبيعة وتفاعل معها وتغنى بالمرأة، في ميل وجداني لم يبلغ مرحلة الانقطاع عن الحياة ومكوناتها.

– التأثر بأدب المهجر في انطلاق الخيال والعاطفة والحنين إلى الوطن والتغني بالألم، والوجدان عندهم تدفق الشعر لأمر ما، ومن تنوع التأثير على الأحاسيس ظهر مصطلح التجربة الشعورية.

– التأثر بجماعة الديوان التجديدية، وتعميق طابعها الوجداني العقلاني؛ فكلا الجماعتين اتفقتا على أن الشعر ينبع من داخل الإنسان، إلا أن مدرسة الديوان نقلته بالعقل، ومدرسة أبولو جعلته مرتبطا بالعاطفة.

– كما تأثرت جماعة أبولو بالمذهب الرمزي، يقول أبو شادي: "كلما سما الفن كان رمزيا في بلاغته؛ لأنه بهذا الرمز ينير التفكير والتأمل، ويثير العواطف المكتومة، ويحيي الذكريات، ويكون علاقات ذهنية ونفسية متنوعة بين صور الحياة"، والمطلع على نصوص شعراء الجماعة يلحظ تأثرهم بالرمزية، وقد ترجم إبراهيم ناجي ديوان (أزهار الشر) لبودلير، وتحدث عنه علي محمود طه في كتابه (أرواح شاردة).

كل ذلك أسهم في تأسيس جماعة أبولو التي آمنت بإمكانية الجمع بين الاتجاهات والتجارب الشعرية على اختلافها وتنوعها في مصر والوطن العربي؛ إذ لم تتبن اتجاها فنيا واحدا كما يقول أبو شادي: "إذا كنا نؤمن بهذا المذهب الفني الشامل الذي ينتظم في الواقع مذاهب فرعية، فليس في مذهبنا طبعا أن نغفل الشعر الكلاسيكي القديم أو المجدد، ولا ما عداه من فن أصيل"، وقد فسحت الجماعة المجال لكل شعراء العربية وأدبائها بالانتماء إليها دون شروط.

2- التسمية:

سميت الجماعة بهذا الاسم (أبولو) نسبة إلى الآلهة الإغريقية أبولو إله الفن والنور والجمال والشعر والموسيقى؛ الذي يتميز بوظائف عدة تتصل بالفلسفة ومبادئ الدين والأخلاق، واتخاذ هذا الاسم يدل على التأثير بالثقافة الأجنبية عند رواد الجماعة.

3- مجلة أبولو:

أصدرت جماعة أبولو مع بداية تأسيسها مجلة تحمل أفكارها وتعبر عنها، وهي أول مجلة عربية متخصصة بالشعر والدراسات الأدبية والنقدية، وأحمد زكي أبو شادي هو من اختار اسم الجماعة واسم المجلة، وذكر أنه استلهم هذا الاسم من قول حافظ إبراهيم:

آنَ يَا شِعرُ أن نفكّ قيودا قيّدتْنا بها دعاةُ المحال
فارفعوا هذه الكمائمَ عنَّا ودعونا نشمُّ ريحَ الشّمال

وقد صدر عن مجلة أبولو خمسة وعشرون عددا، ولعل السمة المميزة لهذه المجلة هي فتح المجال في النشر للشعراء العرب المشهورين والمغمورين، الإحيائيين والمجددين.

وتعد هذه المجلة وثيقة أدبية وفكرية وتاريخية لهذه الجماعة، التي أنتجت جيلا من الشعراء لهم نزعة تجديدية ذات طابع ذاتي رومانسي، وكان لها تأثير كبير الحركة الأدبية والنقدية

الحديثة لما زخرت به من ثراء وتنوع فيما نشر فيها من نصوص إبداعية ودراسات أدبية ونقدية.

4- مظاهر التجديد عند جماعة أبولو:

مضت جماعة أبولو في طريق التجديد الشعري متأثرة بما فعلته قبلها جماعة الديوان، وكان أن جددوا في القصيدة على مستوى الشكل والمضمون، ويمكن الوقوف عند ذلك في العناصر الآتية:

أ- **التجديد في اللغة:** دعت جماعة أبولو إلى حرية التعبير في الشعر، واستعمال اللغة استعمالا مغايرا لاستعمال من سبقهم من الشعراء بخلق معجم شعري جديد، ونقل الألفاظ من نمطية استعمالها القاموسي.

وقد دعا أبو شادي إلى تحديث لغة الشعر عن طريق التعبير عن روح العصر، والتحرر من عبودية اللغة القديمة، ويرى أن اللغة أداة وليست غاية، وليؤدي الشاعر رسالته الإصلاحية فلا بد أن يكون بيانه من بيان قومه، يقول في ذلك: "ومهما تأنق في تعبيره فيجب ألا يرتفع صوته فوق مستوى آذانهم ومداركهم، وإلا كان غريبا عنهم، ولم يرض عنه خاصتهم ولا عامتهم، فتضيع مكانته".

وهو في ذلك لا يدعو إلى استعمال العامية؛ إذ بين موقفه بأنه يقصد مجانبة الإغراب والتعقيد في استخدام الألفاظ، وفي المقابل يدعو إلى إثرائها بالمختار المصقول من العامية القادرة على التعبير عن متطلبات العصر، والغاية من ذلك تقريب لغة الشاعر من قومه؛ يقول: "لا يعني تحبيذ العامية وإن كانت لها حسنات كثيرة لا تنكر، وإنما يعني اجتناب غريب التعابير التي لا توافق ثقافتنا العصرية".

ب- الصورة:

دعت جماعة أبولو إلى التنويع في الصور الفنية لإثراء النصوص الشعرية بدلالات مستحدثة، وذلك عن طريق التوسيع في المجازات والخيال، وتجسيم المعنويات، وتجريد المحسوسات، والاعتماد على الرمز والإيحاء، ومن نماذج هذه الصور المستحدثة:

- **تراسل الحواس:** ويقصد به التوسع في نقل الألفاظ من مجالاتها القريبة المستعملة إلى مجالات بعيدة مبتكرة، ما يتعلق منها بالحواس، مثل استخدام المحسوس للمسموع، كقول الهمشري:

خنقتْ جفوني ذكرياتٌ حلوةٌ من عطركِ القمريِّ والنّغم الوضيءِ

فالعطر مشموم لكن الشاعر جعله بصريا قمريا أبيض منيرا، والنغم مسموع لكنه جعله بصريا مضيئا، وقد أثارت هذه الخاصية كثيراً من المحافظين، حتى اتهموا أصحاب هذه المدرسة بالمخالفة الصريحة للعرف واللغة.

- **التجسيم:** ويقصد به تحويل الأمور المعنوية من مجالها التجريدي إلى مجال آخر محسوس وبث الحياة فيها، كقول إبراهيم ناجي:

إنّ غدا هُوّة لناظرها تكاد فيها الظّنون ترتعدُ
أُطلّ في عمقها أسائلها أفيكِ أخفى خيالَهُ الأبدُ

فالقارئ لمثل هذا النص يقف وقفات طويلة باحثا عن الدلالات، محللا للإيحاءات وأبعادها الفلسفية، وهذا ما سعت إليه الجماعة، من خلال تقديم نمط شعري قائم على التعبير الرمزي والتصوير الفني الجديد.

ج- المضمون:

ركزت جماعة أبولو في تجديد المضامين الشعرية من خلال التنويع فيها، على الوجدان الذاتي بالتفتيش في كوامن الذات وبواعث الشعور، وعلى النزوع التأملي في الطبيعة، ويرى

أبو شادي أن أرقى أنواع الشعر هو الذي يتصل بالحياة ويتجه بها إلى مثال عال يمثل صورة لمزاج الشاعر وفكره وعاطفته، وخصوصية تجربته.

وبوساطة المضمون يستطيع الشاعر أن يعبر عن جوانب الحياة كلها، لأن الشعر – كما يقول–: "هو درس الحياة وبحثها وتحليلها بصور شتى، فقد يظهر في لباس الإنسانية العامة"، ووفق هذا المفهوم للمضمون الشعري يصبح الشعر خادما للحياة بتصويره للبيئة والعصر والعاطفة الإنسانية.

د– موسيقى الشعر:

ثارت جماعة أبولو على الشعر القديم الذي يحصر القصيدة بوزن واحد وقافية واحدة؛ إذ رأت أن الموسيقى عنصر مهم، لكنها ليست بالعنصر الأساس في الشعر؛ لأن جوهر الشعر هو التعبير عن إيقاع الحياة المتغير، يقول أبو شادي: "ما نعيبه هو عبودية الشعر للموسيقى حيث ينبغي أن تكون للشعر سيادته، فبدل استهواء الشاعر بالأوزان وبالقوافي الرتيبة وحدها، نرى أن الشعر جدير بأن تكون له ذاتيته المستقلة الجميلة المؤثرة، وأن يكون الاستهواء والتأثير الوجداني منه ذاتيا، أي من إيحاء المعاني ومن روعة الخيال، لا من الموسيقى اللفظية".

ولذلك دعت الجماعة إلى التحرر من قيد القافية الواحدة بالتنويع فيها، وكذلك من قيد الوزن بطريقة مزج البحور؛ وقد أطلقوا دعوتهم إلى الشعر المرسل والحر الذي يجيز التنويع في القوافي والتفعيلات ومزج البحور حسب ما تقتضيه المعاني والعواطف، ويعرف أبو شادي هذا الشعر بقوله: "يعد من الشعر المرسل نسبيا ما تجرد من التزام القافية الواحدة، وأن يكون ذا قافية مزدوجة أو متقابلة، ولكن الحقيقة أن الشعر المرسل لا يوجد فيه أي التزام بالروي (...) والنوع الآخر يسمى بالشعر الحر؛ حيث لا يكتفي الشاعر بإطلاق القافية، بل يجيز أيضا مزج البحور حسب مناسبات التأثير".

ولكن هذه الدعوة لم تخرج كثيرا عن الشعر العربي القديم في بناء الأبيات على الطريقة العمودية، ووحدة البيت، إضافة إلى الكتابة على نمط الموشحات.

5- قضايا النقد عند جماعة أبولو:

أ- مفهوم الشعر:

حدد أبو شادي مفهومه للشعر في مقدمته لديوانه (الشفق الباكي) قائلا: "الشعر في رأيي هو تعبير الحنان بين الحواس والطبيعة، هو لغة الجاذبية وإن تنوع بيانها، هو أوحدي الأصل في المنشأ والغاية وصفا وغزلا ومداعبة ورثاء ووعظا وقصصا وتمثيلا وفلسفة وتصويرا"؛ فأبو شادي أشار بمفهومه هذا العلاقة الوجدانية بين الإنسان والطبيعة، إذ يعبر الشاعر عن التفاعل بين الحواس ومظاهر الطبيعة، وهو في ذلك متأثر بالرومانسية.

وقد فصل أبو القاسم الشابي في هذا التفاعل حين عرف الشعر بقوله: "الشعر... هو ما تسمعه وتبصره في ضجة الريح وهدير البحار، وفي نسمة الورد الحائرة يدمدم فوقها النحل ويرفرف حولها الفراش، وفي النغمة المرددة يرسلها في الفضاء الفسيح"؛ فالشابي يرى الشعر تصويرا وتعبيرا، تصويرا صادقا لهذه الحياة في كل ميادينها، وتعبيرا صحيحا عن تلك الصور.

ويشترك في تكوينه انفعالات الشاعر وما يتأثر به من حوله؛ ولهذا جعل مفهومه قائما على الحياة نفسها فيقول في الشعر إنه: "الحياة نفسها؛ في حسنها ودمامتها، في صمتها وضجتها، في هدوئها وثورتها، في كل صورة من صورها ولون من ألوانها"؛ وبذلك يكون الشابي قد تأثر بمفهوم 'ووردزورث' للشعر الذي عده ضربا من ضروب المعرفة بأسرها.

ب- الوحدة العضوية:

تحدث أبو شادي عن الوحدة العضوية مؤكدا أن القصيدة وحدة لا يمكن أن نفصل فيها بين الشكل والمضمون، ويرى أن القصيدة تقوم على مجموعة من العناصر، ومن المستحيل الفصل بينها، لأن الشاعر عندما ينظم القصيدة ينظمها كلا، ويتأملها كلا، ولا يتناول عنصرا منها دون الآخر.

يقول في ذلك: "أما أنا فقد آمنت – بعد تأمل نقدي طويل في شعري وفي شعر غيري- بأن هناك ما يصح أن يسمى بالتبادل؛ وهو تعويض الكل للجزء، وكذلك تعويض الجزء للكل،

بمعنى أنه يجب نقد الأثر الفني (القصيدة مثلا) كوحدة لا تتجزأ؛ بحيث يوجه النقد إلى جوهرها ولبها (...) ولا يتأثر الناقد الفني (...) إلا بالجوهر وحده، ولا يكون ما عدا هذا الجوهر إلا معينا على إبرازه"؛ فهو يرى أن القصيدة وحدة فنية لها عناصرها المختلفة، غير أنها متماسكة ومتكاملة في الشكل والمضمون.

ونختم بالقول إن جماعة أبولو قد حققت غاية النهوض بالشعر العربي الحديث إلى مستوى أكثرا ملاءمة لروح العصر، بصورة منفتحة، وكان لها تأثير بالغ فيما أتى بعدها من اتجاهات أدبية ونقدية.

وقد وانفرط عقد المدرسة برحيل رائدها الأول أبي شادي إلى المهجر الأمريكي عام 1946، بعد أن ضاقت به سبل الحياة، وأنشأ الشاعر الطبيب إبراهيم ناجي على أنقاض مدرسة أبولو (رابطة الأدباء)، واستمرت حتى وفاته عام 1953م.